الباب الأول

القدس الموقع والتأسيس

الموقع

تقع مدينة القدس وسط فلسطين تقريباً إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو ٧٥٠ م وعن سطح البحر الميت نحو ١١٥٠ م، وتقع على خط طول ٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقاً، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً وتبعد المدينة مسافة ٥٢ كم عن البحر المتوسط في خط مستقيم و٢٢ كم عن البحر الميت و٢٥٠ كم عن البحر الأحمر، وتبعد عن عمان ٨٨ كم، وعن بيروت ٣٨٨ كم.

اليبوسيون بناة القدس الأولون

اليبوسيون هم بطن من بطون العرب الأوائل، نشأوا في قلب الجزيرة العربية، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية التي ينتمون إليها، إنهم أول من سكن القدس وأول من بنى فيها لبنة.

وعندما رحل الكنعانيون عن الجزيرة العربية رحلوا جماعات منفصلة وحطت هذه الجماعات في أماكن مختلفة من فلسطين فراحت تدعى أرض كنعان، فبعضهم اعتصم بالجبال، والبعض الأخر بالسهول والوديان ، وقد عاشوا في بداية الأمر متفرقين في أنحاء مختلفة، حتى المدن التي أنشئوها ومنها (يبوس، وشكيم، وبيت شان، ومجدو، وبيت إيل، وجيزر،

واشقلون، وتعنك، وغزة)، وغيرها من المدن التي لا تزال حتى يومنا هذا، بقيت كل مدينة من هذه المدن تعيش مستقلة عن الأخرى، هكذا كان الكنعانيون في بداية الأمر، ولكن ما لبث أن اتحدوا بحكم الطبيعة وغريزة الدفاع عن النفس، فكونوا قوة كبيرة، واستطاعوا بعدئذ أن يغزوا البلاد المجاورة لهم، فأسسوا كياناً عظيماً بقى فترة طويلة.

كانت يبوس في ذلك العهد حصينة آهلة بالسكان، واشتهرت بزراعة العنب والزيتون كما عرفوا أنواعاً عديدة من المعادن منها النحاس والبرونز، كما عرفوا أنواع عديدة من الخضار والحيوانات الداجنة، كما عرفوا الخشب واستخدموه في صناعاتهم عن طريق الفينيقيين، كما اشتهروا بصناعة الأسلحة والثياب ولقد أسس الكنعانيون واليبوسيون حضارة كنعانية ذات طابع خاص، ورد ذكرها في ألواح تل العمارنة.

من التفاصيل التي وردت في رسائل العمارنة:

- علاقة مدينة القدس بملوك الفراعنة أمنحوتب الثالث والرابع إخناتون .
- احتواء أرشيف العمارنة على ٣٥٠ رسالة مكتوبة باللغة الأكدية أرسلت من ملوك المدن الكنعانية إلى أمنحوتب الرابع، وتتحدث في معظمها عن العلاقات بين الطرفين والمساعدات التي ترسل إلى تلك المدن من الحكومة المركزية في مصر .

- تحدثت إحدى الرسائل عن اتفاقية حدود بين القدس وكل من جاراتها شكيم في الشمال وبيت لحم في الجنوب، حيث تنظم هذه الاتفاقية نقاط الحدود بين هذه الممالك .

- وورد في إحدى هذه الرسائل كلمة أفرى وتعني الغريب، وتنطبق هذه الكلمة على أولاد يعقوب، ومنها بدأت عملية التزوير التي أطلق بموجبها على الشعب اليهودي العبري في حين كانت أشد ما تكون وضوحا في الرسالة .

- ونلاحظ في رسائل أخرى عديدة اختلاف أو تعدد أسماء القدس .

- عثر أثناء الحفريات أيضاً على بقايا فرعونية في موقع كنيسة الست اثنى وهي عبارة عن نصوص مكتوبة على لوح فخاري تدل على وجود معبد كانت تمارس به طقوس العبادة الفرعونية .

- تعود معظم الأبنية والأنماط المعمارية لهذا العصر، حيث وجدت في موقع مدينة أوفل أي خارج سور باب المغاربة .

- دلت الأساسات والبقايا والأنماط المعمارية التي اكتشفت في أعوام (١٩٦١-١٩٦٢-١٩٦٣م على وجود أسوار بلغ ارتفاعها حوالي ١٠ أمتار، كما تدلل الكثير من الأبنية المكتشفة على وجود قصور وقلاع وحصون كانت قائمة في المدينة في تلك الحقبة .

- ومن أعظم المواقع المكتشفة وأبدعها في هذا العصر دار الحكومة في

الجهة الجنوبية ، كما أن الكهوف التي اكتشفت في منحدرات جبل الزيتون ساعدت في التعرف على كثير من التماثيل والمواد الأثرية التي لم يتم نشرها ، بل حفظت في مجموعات توجد الآن في متحف لندن وقد ظهر بينهم ملوك عظماء بنوا القلاع وأنشئوا الحصون وأنشئوا حولها أسوارًا من طين، ومن ملوكهم الذين حفظ التاريخ أسماءهم، ملكي صادق ويعتبر هو أول من بنى فى موضع يبوس وأسسها، وكانت له سلطة على من جاوره من الملوك، حيث أطلق بنو قومه عليه لقب كاهن الرب الأعظم.

وكانت يبوس في ذلك العهد ذات أهمية من الناحية التجارية ومن أنشط المدن الكنعانية، لأنها واقعة على طرق التجارة، كما كانت ذات أهمية من الناحية الحربية؛ لأنها مبنية على ٤ تلال وكانت محاطة بسورين، وحفر اليبوسيون تحت الأرض نفقاً يمكنهم من الوصول إلى عين روجل التي سميت الآن عين أم الدرج.

كذلك كان فيها واد يعرف بواد الترويين يفصل بين تل أوفل وتل مدريا - عندما خرج بنو إسرائيل من مصر، ونظروا أرض كنعان ورأوا فيها ما رأوا من خيرات راحوا يغيرون عليها بقصد امتلاكها قائلين: إنها هي الأرض التي وعدهم الله بها، وبذلك أيقن الكنعانيون الخطر القادم فطلبوا العون من مصر؛ لأن بني إسرائيل كانوا كلما احتلوا مدينة خربوها

وأعملوا السيف فيها، أما المصريون فقد كانوا يكتفون بالجزية، فلا يتعرضون لسكان البلاد وعاداتهم ومعتقداتهم ولم يتوان المصريون في مد يد العون إلى الكنعانيين، فراحوا يدفعوا الأذى عنهم ونجحوا في صد الغارات والكنعانيين ضد العبريين.

ومن الجدير ذكره أن هناك بين ألواح تل العمارنة التي وجدت في هيكل الكرنك بصعيد مصر لوح يستدل منه على أن عبد حيبا أحد رجال السلطة المحلية في أورسالم أرسل عام ١٥٥٠ ق.م إلى فرعون مصر تحتموس الأول رسالة طلب إليه أن يحميه من شر قوم دعاهم في رسالته بالخبيري أو الحبيري .

واختار اليبوسيون لمدينتهم مكانًا حصينًا يرتفع عما حوله من الأرض، وشيدوا لها حصنا لحمايتها، واختاروا لها أيضًا موقعا حيويا؛ ليتيسر لهم الانتفاع بمميزات تجارية وخيرات طبيعية تتيحها مدينة تقبع في هذا المكان، فبنيت القدس (يبوس) – مع مدن كنعانية أخرى – على طريق المياه بين الشمال والجنوب، وأقيمت على مرتفع الضهور وهو التل الجنوبي الشرقي في القدس القديمة القائمة الآن داخل السور قرب عين ماء جيحون (نبع العذراء)، وحُفر تحت الجبل نفق تُنقل من خلاله مياه النبع إلى الحصن.

وليس بين أيدينا وصف محدد لشكل المباني والشوارع ولا مواد البناء التي أقيمت بها يبوس القديمة، لكن الحفائر في مدن فلسطين القديمة دلت على أن بيوتها كانت صغيرة متراصَّة، وعادة تُقام في سفح تل، أو هي نفسها كهف في سفح التل، وترتفع البيوت طابقاً واحداً، وهي إما من الطين أو الحجر العادي أما شوارع المدينة من داخلها فهي ضيقة جدًا وملتوية، ولا توجد بها ميادين، وعند مدخلها السوق حيث تقام المحكمة، وتعقد العقود، وتعلن التشريعات.

وقد أُسند إلى ملك يبوسي يدعى ملكي صادق أنه وسّع القدس وزاد في مبانيها في القرن العشرين قبل الميلاد تقريباً، وأقام على التل الجنوبي المعروف بجبل صهيون قلعة للدفاع عن مدينته، التي صار اسمها حينئذ أوروسالم بدلاً من يبوس.

التأسيس

إن أقدم جذر تاريخي في بناء القدس يعود إلى اسم بانيها وهو إيلياء بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام وإيلياء أحد أسماء القدس وقيل أن مليك صادق أحد ملوك اليبوسيين وهم أشهر قبائل الكنعانيين أول من اختط وبنى مدينة القدس وذلك سنة ٣٠٠٠ ق.م وسميت بيبوس وقد عرف مليك صادق بالتقوى وحب السلام حتى أطلق عليه ملك السلام،

ومن هنا جاء اسم مدينة سالم أو شالم أو أور شالم بمعنى دع شالم يؤسس، أو مدينة سالم وبالتالي فان أورشليم كان اسماً معروفاً وموجوداً قبل أن يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها اليبوسيين وسماها الإسرائيليون أيضا صهيون نسبة لجبل في فلسطين، وقد غلب على المدينة اسم القدس وسميت كذلك ببيت المقدس .

التوسع والاعمار

- في عهد النبي سليمان عليه السلام اتسعت القدس فبنى فيها الدور وشيد القصور وأصبحت عاصمة للدولة، امتدت من الفرات إلى تخوم مصر ويعتبر هيكل سليمان أهم وأشهر بناء أثري ضخم،شيده الكنعانيون فيها ليكون معبداً تابعا للقصرلكنه محي تماماً ودمرت آثاره ولم يعد له أثر.

- قام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب بعدة إصلاحات فيها.

- سنة ٧٢ هـ بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة والمسجد الأقصى. -

-سنة ٤٢٥ هـ شرع الخليفة الفاطمي السابع علي أبو الحسن في بناء سور لمدينة القدس بعد بناء سور الرملة، وفي العصر الفاطمي بني أول مستشفى عظيم في القدس من الأوقاف الطائلة.

-سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م في زمن المماليك غدت القدس مركزاً من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي.

ـ سنة ١٥٤٢ م جدد السلطان سليمان القانوني السور الحالي الذي يحيط بالمدينة القديمة ويبلغ طوله ٤٢٠٠ م وارتفاعه ١٢ م.

التسمية

أوّل اسم ثابت لمدينة القدس هو أورسالم الذي يظهر في رسائل تل العمارنة المصرية، ويعني أسس سالم؛ وسالم أو شالم هو اسم الإله الكنعاني حامي المدينة، وقيل مدينة السلام وقد ظهرت هذه التسمية مرتين في الوثائق المصرية القديمة: حوالي سنة ٢٠٠٠ ق م و١٣٣٠ ق م ثم ما لبثت تلك المدينة، وفقًا لسفر الملوك الثاني، أن أخذت اسم يبوس نسبة إلى اليبوسيون، المتفرعين من الكنعانيين، وقد بنوا قلعتها التي تعني بالكنعانية مرتفع وتذكر مصادر تاريخية عن الملك اليبوسي ملكي صادق أنه هو أول من بنى يبوس أو القدس، وكان محبًا للسلام، حتى أُطلق عليه ملك السلام ومن هنا جاء اسم المدينة وقد قيل أنه هو من سماها بأورسالم أي مدينة سالم.

ظهر الاسم أورشليم أوّل ما ظهر في الكتاب المقدس، وفي سفر يشوع تحديدًا، ويقول الخبراء اللغويون أنه عبارة عن نحت، أي دمج، لكلمتيّ أور، التي تعني موقع مخصص لعبادة الله وخدمته والجذر اللغوي س ل ،

الذي يعني على ما يُعتقد سلام، أو يشير إلى إله كنعاني قديم اسمه شاليم، وهو إله الغسق.

أطلق العبرانيون على أقدم الأقسام المأهولة من المدينة اسميّ مدينة داود وصهيون، وقد أصبحت هذه الأسماء ألقاب ونعوت للمدينة ككل فيما بعد بحسب التقليد اليهودي وحُرّف اسم القدس من قبل الإغريق خلال العصر الهيليني، فأصبح يُلفظ هيروسليما، وعند سيطرة الإمبراطورية الرومانية على حوض البحر المتوسط، أطلق الرومان على المدينة تسمية مستعمرة إيليا الكابيتولينيّة سنة ١٣١ للميلاد في بعض الرسائل الإسلامية باللغة العربية من القرون الوسطى، خصوصاً في العهدة العمرية، وتذكر المدينة باسم إلياء أو إيليا وهو على ما يبدو اختصار لاسمها اللاتيني ذُكرت المدينة في فترة لاحقة من القرون الوسطى باسم بيت المقدس، وهو مأخوذ من الآرامية بمعنى الكنيس ولا يزال هذا الاسم يُستخدم في بعض اللغات مثل اللغة الأردية، وهو مصدر لقب مقدسي الذي يطلق على سكان المدينة.

أما اسم القدس الشائع اليوم في العربية خاصة لدى المسلمين فقد يكون اختصارًا لاسم بيت المقدس أو لعبارة مدينة القدس وكثيراً ما يُقال

القدس الشريف لتأكيد قدسية المدينة أما السلطات الإسرائيلية فتشير في إعلاناتها إلى المدينة باسم أورشليم القدس.

أسماء القدس عبر التاريخ

أسماء القدس كما وردت في السجلات والوثائق التاريخية عبر العصور -:إيفن - مدينة الأنهار - مدينة الوديان - راشاليم - يور شالم - يور سلمايا – يهوستك - شهر شلايم - نور مستك - يبوس جلعاد - نور السلام - نور الغسق – يارة – كيلة– إريانة -جبستي –يبوس – أوفل – ميلو – أكرى – أنتوخيا - إيليا كابتولينا - إيليا كونستنبل – إيليا -بيت المقدس –القدس والأسماء المذكورة هنا وردت في وثائق وسجلات وجدت في أنحاء كثيرة من العالم؛ وهو ما يدل على اختلاط القدس بالحضارات المختلفة عبر العصور، وهذه الأسماء إما أن تكون كنعانية أو فارسية أو يونانية أو رومانية أو بيزنطية أو اسلامية.

يبوس، اورسالم، ايليا، بيت المقدس، زهرة المدائن، القدس الشريف، مدينة السلام، هي كلها أسماء لمدينة واحدة هي القدس، تسمت بها عبر تاريخها الطويل الذي يمتد لآلاف السنين، ولكن هذه

المدينة هي أبعد المدن عن السلام إذ تعرضت لأكثر من أربعين محتلاً ودمرت اكثر من ٣٧ مرة وها هي اليوم ترزح تحت نير الاحتلال الاسرائيلي منذ ٦٩عاماً، وكانت أكثر المسائل تعقيداً وخلافاً بين المتفاوضين الفلسطينيين والاسرائيليين في كامب ديفيد.

التركيبة السكانيّة

أشارت الإحصاءات الإسرائيلية الرسمية الصادرة نهاية عام ٢٠٠٠ إلى أنّ تعداد السكان في المدينة ارتفع بنسبة ٢% من إجمالي السكان البالغ ٦٤٦,٣ ألف نسمة، بينهم ٤٣٦,٧ ألف يهودي بنسبة ٦٧,٦%، في حين بلغ عدد السكان العرب ٢٠٩,٥ آلاف عربي بنسبة ٣٢٤% وقد تبيّن في إحصائية أخرى عن نفس السنة أن نسبة السكان من اليهود تتراجع تدريجيًا بينما نسبة العرب في ازدياد مطّرد، ويرجع ذلك إلى أن نسبة الولادات أعلى عند العرب وإلى هجرة بعض اليهود إلى مدن وبلدان أخرى كذلك أفادت نفس الدراسة أن حوالي ٩% من جمهرة البلدة القديمة البالغة ٣٢,٤٨٨ نسمة كانوا يهودًا بلغت نسبة الكثافة السكانيّة بالمدينة في نهاية عام ٢٠٠٥ حوالي ٥,٧٥٠٤ نسمة في الكيلومتر المربّع ١٤,٨٩٣٥ نسمة/ميل مربّع، وفي نهاية سنة ٢٠٠٦ أظهرت إحصائية أعدّتها مؤسسة إسرائيلية للدراسات حول مدينة القدس ان عدد

سكان القدس بلغ ٧٣٣ ألف شخص بينهم ٤٨١ ألف يهودي و٢٥٢ ألف فلسطيني يعيشون خصوصاً في الأحياء الشرقية من المدينة وفي شهر ديسمبر من سنة ٢٠٠٧، وصل عدد سكان القدس إلى ٧٤٧,٦٠٠ نسمة، ٦٤% منهم يهود و ٣٢% مسلمين و ٢% مسيحيين.

يخوض الفلسطينيون والإسرائيليون حرباً ديمغرافيّة في القدس، حيث يسعى كل طرف إلى زيادة عدد السكان المنتمين إلى عرقه ليضمن هيمنته على المدينة، وتعمل الحكومة الإسرائيلية كما تقول الدكتورة سارة هيرشكوبيتس رئيسة قسم التخطيط الاستراتيجي في بلدية القدس على ألا تتعدى نسبة العرب بالمدينة ٢٨% وتحاول الحكومة الإسرائيلية زيادة عدد اليهود في المدينة بطرق عدة، منها على سبيل المثال العمل على إحلال اليهود محلّ العرب الذين هدّمت منازلهم بحجّة البناء دون تصريح وتشير إحصائيات بيت الشرق لعام ١٩٩٩ في هذا الصدد إلى هدم أكثر من ألفيْ منزل منذ عام ١٩٦٧، مما خلق ظروفاً صعبة للفلسطينيين حيث يسكن معظمهم في منازل مكتظة ومن الوسائل الأخرى التي تتّخذها إسرائيل لإجبار المقدسيّين على الهجرة من القدس، عدم منحهم تصاريح بناء إلا فيما ندر، وتسهيل بناء المنازل لليهود المهاجرين وفي سنة ٢٠٠٥، قدم المدينة ٢,٨٥٠ مهاجر يهودي جديد من الولايات المتحدة وفرنسا ومن بعض دول الإتحاد السوفيتي السابق،

وبنهاية السنة ذاتها تبيّن أن ١٦,٠٠٠ من السكان غادر المدينة، إلا أن جمهرة المدينة ما زالت في ازدياد بفضل ارتفاع نسبة الإنجاب بين الأهالي العرب واليهود الحريدية ويصل معدل الخصوبة الكلي في القدس إلى ٤٠٢، وهو أعلى من ذاك الخاص بتل أبيب ١٩٨والمعدل الوطني حتى،الذي يصل إلى ٢٩٠يهود حريديون في القدس يطلعون على ملصقات إخبارية وبلغت الزيادة الصافية للسكان في سنة ٢٠٠٠، بعد حساب الولادات والوفيات والمهاجرين من وإلى المدينة، ١٢٦٠٠ نسمة، كان نصيب اليهود منها ٢٩٠٠ نسمة، في حين بلغت الزيادة العربية ٩٧٠٠ وبهذا كانت نسبة نمو السكان اليهود في القدس هي ٠٧% بينما كانت عند السكان العرب ٤٧% وفي سنة ٢٠٠٥ إزداد عدد السكان بحوالي ١٣,٠٠٠ نسمة، أي قرابة ١٨%، وهي نسبة مشابهة لنسبة معدّل النمو السكاني في إسرائيل في ذلك العام، إلا أن ما مميزها هو التباين في التركيبة السكانيّة والعرقيّة، فقرابة ٣١% من الجمهرة اليهودية تألفت من أولاد دون سن الخامسة عشر، بالمقابل فإن هذه النسبة وصلت لحوالي ٤٢% عند السكان العرب، ويتفق ذلك مع الدراسات التي أظهرت تراجع عدد اليهود في القدس خلال العقود الأربع الماضية، واتجاه معظمهم إلى المدن الساحلية والضواحي عادت نسبة اليهود الحريدية في المدينة إلى الارتفاع بحلول عام ٢٠٠٩، حيث تبيّن

في إحدى الإحصائيات أن ٥٩,٩٠٠ تلميذ من أصل ١٥٠,١٠٠، أو ٤٠% منهم، يطلبون العلم في المدارس الرسميّة العلمانيّة والدينيّة على حد سواء، بينما ٩٠,٢٠٠ تلميذ أو ٦٠% من المجموع الأصلي، يتلقون دراستهم في مدارس حريدية خاصة.

القدس الغربية

أقدمت إسرائيل بعد اعلان قيامها عام ١٩٤٨، على تدمير معظم القرى الواقعة غرب القدس، من أهمها: المالحة، دير ياسين، عين كارم، لفتة، والقسطل وأقامت مكانها العديد من المستوطنات التي أصبحت تشكل فيما بعد مناطق القدس الغربية، وهي: گفعات شاؤول، بيت هيكرم، جبل هرتزل، كريات هيوفيل، عميق زيفائيم، يمين موشيه، ربحاميا، نحلاؤوت، محانيه يهودا، مئة سيعاريم، روميما وگفعات رام.